

أهداف الدرس

- أن أتعرف دلالات الحسن ومعانيه عند المحدثين .
- أن أميز بين الحسن لذاته والحسن لغيره .
- أن أعظم حديث رسول الله ﷺ قولاً وعملاً .

تمهيد

الحديث المقبول ليس على مرتبة واحدة، بل تتفاوت رتبته بتفاوت أوصاف رواته، فما رواه راو تام الضبط ليس كالذي رواه راو خفيف الضبط، ولذلك اصطلح العلماء على كل منهما اصطلاحاً خاصاً.

فما ذا يسمى الحديث الذي يرويه راو اجتمعت فيه شروط الصحة السابقة وخف ضبطه؟ وهل هو من قبيل المقبول أو المردود؟

المتن

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «فإنَّ خَفَّ الضَّبُّطُ: فَالْحَسَنُ لِدَاتِهِ، وَبِكَثْرَةِ طُرُقِهِ يُصَحِّحُ؛ فَإِنْ جُمِعَا فَلِلتَّرَدُّدِ فِي النَّاقِلِ حَيْثُ التَّفَرُّدُ، وَإِلَّا فَباعْتِبَارِ إِسْنَادَيْنِ».

الفهم

الشرح:

خَفَّ: يقال: خف القوم خفوقاً: قلوا، والخف بالكسر الخفيف، والجماعة القليلة.

فإنَّ جُمِعَا: أي الصحيح والحسن، في وصف واحد.

فَلِلتَّرَدُّدِ فِي النَّاقِلِ: فللتردد الحاصل من المجتهد في الناقل للحديث.

استخلاص المضامين:

أستخلص من المتن تعريف الحديث الحسن.

التحليل

أولاً: تعريف الحديث الحسن وأقسامه

1. تعريفه:

أ- لغة: صفة مشبهة من الحُسْن ضد القبح ونقيضه. [لسان العرب، ابن منظور، 114/13].

ب- اصطلاحاً: الحديث الحسن ينقسم إلى قسمين: حسن لذاته، وحسن لغيره، ولكل منهما

تعريف يختص به.

2. أقسام الحديث الحسن:

أ- الحسن لذاته: هو ما اتصل سنده، بنقل العدل الذي خف ضبطه، عن مثله، إلى منتهاه، من غير شذوذ ولا علة. وقد اقتصر الحافظ ابن حجر في المتن على قوله: «فإن خف الضبط فالحسن لذاته» لكنه بين في الشرح أن المراد مع بقية الشروط المتقدمة في الصحيح.

واختلفت عبارات العلماء في تعريف الحديث الحسن؛ فقال ابن الصلاح بعد ذكر جملة من تعاريف العلماء للحسن: «وكل هذا مستبهم لا يشفي الغليل، وقد أمعنت النظر في ذلك والبحث، جامعاً بين أطراف كلامهم، ملاحظاً مواقع استعمالهم، فتنتجح لي واتضح أن الحديث الحسن قسمان:

أحدهما: الحديث الذي لا يخلو رجال إسناده من مستور لم تتحقق أهليته، غير أنه ليس مغفلاً كثير الخطأ فيما يرويه، ولا هو متهم بالكذب في الحديث، أي لم يظهر منه تعمد الكذب في الحديث ولا سبب آخر مفسق، ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بأن روي مثله أو نحوه من وجه آخر أو أكثر حتى اعتضد بمتابعة من تابع راويه على مثله، أو بما له من شاهد، وهو ورود حديث آخر بنحوه، فيخرج بذلك عن أن يكون شاذاً ومنكراً، وكلام الترمذي على هذا القسم يتنزل.

القسم الثاني: أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة، غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح، لكونه يقصر عنهم في الحفظ والإتقان، وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ما ينفرد به من حديثه منكراً، ويعتبر في كل هذا - مع سلامة الحديث من أن يكون شاذاً ومنكراً - سلامته من أن يكون معطلاً. وعلى القسم الثاني يتنزل كلام الخطابي». [مقدمة ابن الصلاح، ص: 31-32]

مثال الحسن لذاته:

مثاله: حديث محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ». [سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء في السواك].

قال ابن الصلاح رحمه الله: «فمحمد بن عمرو بن علقمة من المشهورين بالصدق والصيانة، لكنه لم يكن من أهل الإتقان، حتى ضعفه بعضهم من جهة سوء حفظه، ووثقه بعضهم لصدقه وجلالته، فحديثه من هذه الجهة حسن، فلما انضم إلى ذلك كونه روي من أوجه آخر، زال بذلك ما كنا نخشاه عليه من جهة سوء حفظه، وانجبر به ذلك النقص اليسير، فصح هذا الإسناد والتحقيق بدرجة الصحيح، والله أعلم». [مقدمة ابن الصلاح، ص: 35].

ب- الحسن لغيره

الحسن لغيره، هو: الذي لا يخلو رجال إسناده من مستور لم تتحقق أهليته، غير أنه ليس مغفلاً كثير الخطأ فيما يرويه، ولا هو متهم بالكذب في الحديث [مقدمة ابن الصلاح، ص: 31].

وسمي حسناً لغيره؛ لأن صفة الحسن لم تأت من ذات السند الأول، وإنما جاءت من انضمام غيره له، وبكثرة طرقه يصحح، وإنما نحكم له بالصحة عند تعدد الطرق، لأن للصورة المجموعة قوة تجبر القدر الذي قصر به ضبط راوي الحسن عن راوي الصحيح، ومن ثم تطلق الصحة على الإسناد الذي يكون حسناً لذاته - لو تفرد - إذا تعدد، وهذا حيث ينفرد الوصف.

مثال الحسن لغيره:

من أمثله ما رواه ابن حبان، قال: أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا أبو خيثمة قال: حدثنا جرير عن فطر عن شرحبيل بن سعد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة» [صحيح ابن حبان، باب ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن مات له ابنتان وقد أحسن صحبتها في حياته]. إسناده ضعيف، وهو حديث حسن بشواهده؛ فشرحبيل بن سعد ضعفه غير واحد من الأئمة، لكن يعتبر بحديثه كما قال الدارقطني، وجرير: هو ابن عبد الحميد، وفطر: هو ابن خليفة الخزومي.

مثال آخر:

ما رواه عيسى بن يونس عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري قال: «كَانَ عِنْدَنَا خَمْرٌ لَيْتِيمٌ فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمَائِدَةُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، وَقُلْتُ: إِنَّهُ لَيْتِيمٌ، فَقَالَ: أَهْرِيْقُوهُ». [سنن الترمذي، أبواب البيوع، باب ما جاء في النهي للمسلم أن يدفع إلى الذمي الخمر يبيعها له].

ومجالد ضعفه جماعة ونسبوه إلى الغلط والخطأ، وقد حسن الترمذي هذا الحديث؛ لأنه روي من غير وجه عن النبي ﷺ بطرق أخرى.

ثانياً: مراتب الحسن، مصادره، حكمه

1. مراتبه:

تتفاوت مراتب الحديث الحسن كما تتفاوت مراتب الصحيح، وهو مشابه له في انقسامه إلى مراتب بعضها فوق بعض. وقد ذكروا أمثلة من تفاوت مراتب الحسن لذاته؛ فذكر الإمام الذهبي أن أعلى مراتبه: بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وأمثال ذلك مما قيل إنه صحيح، وهو من أدنى مراتب الصحيح، ثم بعد ذلك ما اختلف في تحسينه وتضعيفه، كحديث الحارث بن عبد الله، وعاصم بن ضمرة. [الموقظة في علم مصطلح الحديث، للذهبي، ص: 32].

2. مصادره:

مصادر الحسن كثيرة، ومتنوعة؛ من أهمها كتب: السنن والمسانيد والمصنفات، وغيرها من أنواع الكتب الحديثية. وذكر ابن الصلاح أن جامع الترمذي أصل في معرفة الحسن، وأكثر من ذكره في جامع، ولا وجه لتخصيص سنن الترمذي بكونها أصلاً في معرفة الحسن؛ إذ فيه الحسن وما دون ذلك.

3. حكم الحديث الحسن:

الحديث الحسن بقسميه (لذاته، ولغيره) من قبيل المقبول يحتج به، وهو متفاوت؛ فالحسن لذاته أقوى من الحسن لغيره، وهو مشارك للصحيح في الاحتجاج به، وإن كان دونه، ومشابه له في انقسامه إلى مراتب بعضها فوق بعض.

معنى قولهم «حديث حسن صحيح»: إن جمعا (الصحيح والحسن) في وصف واحد، كقول الترمذي وغيره: «حديث حسن صحيح» فللتردد الحاصل من المجتهد في الراوي: هل اجتمعت فيه شروط الصحة أو قصر عنها، وهذا حيث يحصل منه التفرد بتلك الرواية، فإن لم يحصل التفرد فإطلاق الوصفين معا على الحديث يكون باعتبار إسنادين: أحدهما صحيح، والآخر حسن. وعلى هذا فما قيل فيه: «حسن صحيح» فوق ما قيل فيه: «صحيح» فقط -إذا كان فردا- لأن كثرة الطرق تقوي.

الحسن عند الترمذي:

فإن قيل: قد صرح الترمذي بأن شرط الحسن أن يروى من غير وجه؛ فكيف يقول في بعض الأحاديث: «حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه»؟ فالجواب: أن الترمذي لم يعرف الحسن مطلقاً، وإنما عرف نوعاً خاصاً منه وقع في كتابه، وهو ما يقول فيه: «حسن»، من غير صفة أخرى؛ وذلك أنه: يقول في بعض الأحاديث: «حسن»، وفي بعضها: «صحيح»، وفي بعضها: «غريب»، وفي بعضها: «حسن صحيح»، وفي بعضها: «حسن غريب». وفي بعضها: «صحيح غريب»، وفي بعضها: «حسن صحيح غريب». وتعريفه إنما وقع على الأول فقط، وعبارته ترشد إلى ذلك؛ حيث قال في آخر كتابه: وما قلنا في كتابنا: «حديث حسن»، فإنما أردنا به حسن إسناده عندنا: كل حديث يروى، ولا يكون راويه متهماً بكذب، ويروى من غير وجه نحو ذلك، ولا يكون شاذاً فهو عندنا حديث حسن.

فعرف بهذا أنه إنما عرف الذي يقول فيه: «حسن»، فقط، أما ما يقول فيه: «حسن صحيح»، أو: «حسن غريب»، أو: «حسن صحيح غريب»، فلم يعرج على تعريفه، كما لم يعرج على تعريف ما يقول فيه: «صحيح»، فقط، أو: «غريب»، فقط، وكأنه ترك ذلك استغناءً، لشهرته عند أهل الفن. واقتصر على تعريف ما يقول فيه في كتابه: «حسن» فقط؛ إما لغموضه، وإما لأنه اصطلاح جديد؛ ولذلك قيده بقوله: عندنا، ولم ينسبه إلى أهل الحديث.

أهتدي وأقتدي

« قال أبو مصعب: كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء، إجلالاً له... ، وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ، ولبس ثيابه، ثم يحدث. قال مصعب: فسئل عن ذلك، فقال: إنه حديث رسول الله ﷺ » [الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، 45/2].

التقويم

1. أذكر أنواع الحديث الحسن ، وأمثلة لها .
2. أميز بين شروط الحديث الحسن ، والصحيح .
3. أبين مدلول عبارة «حسن صحيح» .
4. أستخلص آداب طالب الحديث للتخلق بها .

الاستثمار

قال الإمام الذهبي رحمه الله: «ثم لا تطمع بأن للحسن قاعدة تدرج كل الأحاديث الحسان فيها ، فأنا على إياس من ذلك! فكم من حديث تردد فيه الحفاظ: هل هو حسن؟ أو ضعيف؟ أو صحيح؟ بل الحافظ الواحد يتغير اجتهاده في الحديث الواحد: فيوما يصفه بالصحة ، ويوما يصفه بالحسن ، ولربما استضعفه!» [الموقظة في علم مصطلح الحديث ، للذهبي ، ص: 28-29]

أتأمل النص ، وأجيب عن الآتي:

1. أشرح قول الذهبي: «لا تطمع بأن للحسن قاعدة تدرج كل الأحاديث الحسان فيها» .
2. هل حكم العالم على الحديث بالصحة أو الضعف قطعي أو قابل للتغير مع التعليل .

الإعداد القبلي

أعد الدرس المقبل وأبحث عن الآتي:

1. حكم زيادة الثقة .
2. تعريف الشاذ والمحفوظ ، وأمثلة لكل واحد منهما .
3. الفرق بين الشاذ والمحفوظ .